العلاقة بين الدين والسياسة في سيرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

الباحثة
ابتسام سلمان الشحماني

المقدمة:

لو نظرنا إلى هذا القرآن الكريم الموجود بين أيدي المسلمين، والّذي ليس فيه حرف زيادة ولا نقيصة منذ البداية وحتّى الآن، لو نظرنا إليه بعين التدبير لما وجدناه يدعو الناس أبداً للجلوس في منازلهم وذكر الله والخلوة به... إنّه يدعو إلى الاجتماع، ويدعو إلى السياسة، ويدعو إلى إدارة البلاد. كما أنّ الكفاح السياسي هو جزء من الوظائف والواجبات الدينيّة، فإنّ قيادة الكفاح السياسيّ وتوجيهه هما جزء من وظائف ومسؤوليّات القائد الدينيّ. الإسلام دين السياسة، وهو الدين الّذي تظهر السياسة بوضوح في أحكامه ومواقفه.

تناولت الأحكام الإسلاميّة المقدّسة الأمور السياسيّة والاجتماعيّة أكثر من الأمور العباديّةوكان دور الديني والسياسة عند الإمام جعفر الصادق " عليه السلام " له عدة أمور يجب الاقتداء بها بين المجتمعات..

وتناولنا اكثر عن هذا في بحثنا المبسط التي انقسم إلى مبحثين كان المبحث الأول: الفكر الديني والسياسي في مسيرة الإمام الصادق " عليه السلام " فضلا عن مفهوم الدين ومفهوم السياسة.فضلا عن سبل التواصل بين الدين والسياسة..ثم طرقنا المبحث الثاني التي تناولنا فيه: نبذة من حياة الإمام الصادق " عليه السلام ". وختمنا بحثنا في خاتمة وفهرسة المصادر.

المبحث الأول

الفكر السياسة لحركة الإمام الصادق عليه السلام

المطلب الأول: مفهوم الحركة السياسية واهدافها

المطلب الثاني: الحركة السياسية في المسيرة الدينية في عصر الإمام الصادق " عليه السلام "

المطلب الأول

مفهوم الحركة السياسية وأهدافها

السياسة لغة: ان السياسة مصدر للفعل ساس يسوس، وساس الامر سياسة: قام به. وسوس القوم: جعلوه يسوسهم.(١)

وقال ابن حجر: يسوس الشيء اي يتعهد بما يصلحه.(٢)

والسياسة فعل السائس الذي يسوس الدواب سياسة: اي يقول علي عليها ويروضها. والوالي يسوس الرعية اي يأمرهم.(٣)

أما مصطلح السياسة في اللغة الغربية ومنها الانجليزية (politics) والفرنسية (politique) فهو مشتق من ثلاث كلمات لاتينية هي:

١- polis وتعني المدينة. وقد كانت المدينة هي الوحدة السياسية في اليونان القديمة. حيث عرفت اليونان آنذاك ما أطلق عليه اسم دولة المدينة (city - state).

٢- politica وتعني الاشياء السياسية والمدنية النظرية وكل ما إذا ذكر تبادر إلى الذهن معنى السياسة كالدستور والحكومة والسيادة وغيرها من الكلمات.

٣- politike وتعني السياسة كفن أو كممارسة يقوم بها السياسيون(٤).

كذلك يميز العلماء بين مصطلح السياسة المعرف بالالف واللام والذي تقابله كلمة (politics)ومصطلح سياسة المجرد من الالف واللام والذي تقابله كلمة (policy) لان الاخير يشير إلى ما تصنعه وتنفذه من خطط وبرامج عمل. كان نقول سياسة خارجية (foreign policy) وسياسة مالية ((financial policy وسياسة اجتماعية (social policy) وسياسة اقتصادية (Economic policy) وتشكل ـ مجتمعة سياسات (policies) الدولة. وتمثل الجوانب العلمية الهادفة إلى تحقيق غايات الدولة(٥).

إنّ الدّين الّذي يجعل الإنسان يتحمّل المسؤوليّة إمام الله، هو الدّين الّذي يدفع بك لتعيش الحياة بكامل أبعادها، ولتتحمّل مسؤوليّة الحياة على أساس التّجربة. الدّين حركة سياسيّة في كلّ واقعٍ تريد الأمّة أن تنطلق من خلاله لترتفع إلى أعلى الدّرجات. وكما قال

بعض العلماء: "ديننا سياسة وسياستنا دين"، لا فصل عندنا بين الدّين والسّياسة. إنّك عندما تمارس السّياسة، فأنت تمارسها من موقع مسؤوليّتك إمام الله في إقامة العدل وفي إسقاط الظّلم، وعندما تنطلق في دينك، فإنّك تنطلق فيه لتنفّذ ما أراده الله منك.

وهل يمكن أن يقوم النّاس بالقسط إذا خضع النّاس للظّالمين من القوى الكبرى؟

إذا، لنحقّق إرادة الله في الرّسالات. وحتّى يقوم النّاس بالقسط، لا بدَّ من أن يكون لنا موقف سياسيّ، وحركة سياسيّة نتّقي فيها الله، ونتحرّك فيها على أساس حدود الله، لنحقّق ما أراده الله. وعند ذلك، تتحرّك السياسة في خطّ الدّين من خلال خطّ التّقوى، ويتحرّك الدّين في خطّ السّياسة من خلال خطّ المسؤوليّة.

إذا كانت الدولة والشعوب، وهي تحمل الانظمة الوضعية تنادي بضرورة وجود السلام، وتدعو إلى تطبيق افضل الانظمة لسعادة البشرية، وتحشد كل ما تستطيع من القوى البشرية والمادية والمعنوية و السياسة، لفرض ما تراه من نظام يحقق - كما يزعمون - العدالة للمجتمع والبشرية، فإن أولى الناس في ان يعودوا إلى استئناف حياتهم على اساس من المبدأ الصالح، والعدل الشامل، والنظام الحق هم المسلمون وان اولى ما يطبقونه في سياستهم وادرتهم وحكمهم هو نظام الإسلام السياسي بجانب تطبيق الانظمة الإسلامية الاخرى ليسعدوا ويسعدوا به الناس..نظام للحكم قائم على العدل..فكانت اروع مظهر لسلطان الدين اما عن علاقة الدولة الإسلامية والمسلمين بغيرهم من امم الارض، فقد انزلها الإسلام في أخصب وأوسع رحاب، كما كان اوائل المسلمين مع غيرهم ترجمة صادقة لأصول الإسلام، فقد أقاموا العلاقة مع غيرهم على البر بهم والوفاء لهم على أساس من الأخلاق الإنسانية العالية التي تعلمها المسلمون من دينهم، ولم تكن المعاملة تدبيرا من تدبير السياسة أو حيلة من حيل الحكم يلجأ اليها المسلمون عند الحاجة ويتخلون عنها عند الطاقة والمقدرة(٦).

وهناك سؤال لربما يسأله السائل ما هو النظام السياسي في الإسلام؟

النظام السياسة للإسلام (اي نظام الحكم في الإسلام) ومفهوم الدولة في الإسلام وواجباتها، وأسس الحكم، وسياسة الدولة الداخلية والخارجية، وخصائص الحكم الإسلامي، ونحن في هذا المعنى للنظم السياسي في الإسلام نضم اليه ما يتعلق بالدولة

وأجهزتها بشكل عام، وما يتعلق بالقواعد السياسية التي يحددها الإسلام في علاقات الدولة الإسلامية بغيرها من الإمام والدول وبوظيفتها الأولى في تطبيق الإسلام وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالمين، والإسلام عني بالسياسة ونظامها، بمعنى تدبير شؤون الامة ورعاية مصالحها لا بمعنى الختل والتضليل والخداع والمداراة والمناورة إذا الإسلام قد اتى بمنهاج متكامل متكامل للحياة، فانه لم يأتي بالقواعد المفصلة لسياسة الدولة ونظامها الاجتماعي والاقتصادي والاداري، وانما جاء الإسلام بالمبادئ العامة وبالاحكام الشرعية وبالتوجيهات الهادية إلى الصلاح والسعادة في الدنيا والاخرة فالإسلام كفل للإنسان حريته في التفكير والتنظير والتخطيط، وفي تيسير شؤون حياته العمة وفي تدبير أمور المجتمع والدولة على هدي تلك الاحكام والمبادئ والتوجيهات وكان في ذلك التيسير على الإنسان. والتكريم له...[٧].

ومن الضرورة الملحة إبراز القيم السياسية، وإظهار الطاقات الهائلة في تشريعاته السياسية، فقد خفيت على الكثيرين من الناس، وانطلقت دعاوى رخيصة تنادي ان الإسلام لم يعرض إلى الناحية السياسية من حياة الإنسان، وإنما عني بالحياة الروحية، وقد وجه جميع أجهزته الفكرية نحو. الطقوس الدينية لا يتعداها، ولا يتجاوزها ومن خلال هذا البحث وغيره من الكتب مما ألف في هذا الموضوع فشل هذه الدعوى وعدم واقعيتها.

إن من المفاهيم الخاطئ تجريد الإسلام عن السياسة الرشيدة وجعله يمنحى عنها، فانه بذلك يفقد فعالياته، وذاتياته، بل يفقد روحه وجوهره، ويكون شبحا باهتا، وظلا متهافتا،

إن الإسلام ليس دينا بالمعنى المجرد الذي نفهمه اليوم من هذه الكلمة، بل هو مجتمع بالغ تمام الكمال يقوم على أساس ديني، ويشمل كل مظاهر الحياة الإنسانية[٨].

المطلب الثاني

الحركة السياسية في المسيرة الدينية في عصر الإمام الصادق عليه السلام

مما لا شك فيه ان اهتمام الإمام الصادق "عليه السلام" بالعلم وأهله، لم يكن بسبب أهمية العلم فقط، وانما من أجل خدمة العقيدة والدين الإسلامي، والتصدي للفرق الضالة، والمذاهب الفكرية المنحرفة، وذلك ان عصر الإمام الصادق "عليه السلام" شهد منطلقات فكرية متعددة استخدمت لطروحاتها آليات متنوعة مستندة على أرثية حضارية لعدد من الامم والحضارات الأخرى، فكثرت الفرق المغالية ونشطت الزنادقة والالحاد.

على الرغم من الظروف السياسية المضطربة التي عاصرها الإمام الصادق، والتدهور الاقتصادي الذي شهدته الدولة العربية الإسلامية خلال تلك الحقبة، الا ان الجوانب الفكرية والثقافية تميزت بمواصلة نشاطاتها، حيث انها لم تتأثر بتلك الظروف، ولذلك تبنى الإمام الصادق ركائز فلسفته الفكرية والسياسية وفق قيادته لمؤسسة علمية واسعة النطاق لم تقتصر على الجوانب العلمية والفقهية فقط بل كانت لها انعكاساتها السياسية، حيث ساهمت حيثيات الواقع الذي كان الإمام يعاصره في تكوين هذه المؤسسة التي يمكن إجمالها بالآتي:

أولاً:- معاصرة الإمام الصادق للدولتين الأموية والعباسية.

مما لا شك فيه ان الإمام واجه أزمة كبيرة ألا وهي ان حكام الدولتين الاموية والعباسية كانوا يعملون لخلق مجتمع يسير على شاكلتهم ففرضوا أساليب الارهاب الفكري والقمع والتنكيل وأشاعوا الرعب والخوف لتحقيق أغراضهم.

يمكن القول ان الإمام كان له دور ملموسٌ لتخفيف سطوة الارهاب الفكري والاجتماعي الذي مارسته السلطات الأموية والعباسية، من خلال مقاومة الظلم والاهتمام بالحياة العلمية والثقافية لذا كانت تشمل كافة العلوم والمعارف الإنسانية كعلوم القرآن وتفسيره والحديث والفقه وعلم الكلام والفلسفة والكيمياء والطب وغيرها. ولذلك يُعتبر عصر الإمام الصادق عصر الانفراج الفكريّ والثقافي لمدرسة أهل البيت "عليهم السلام"، طبعاً قياساً بالعهود السابقة التي مرّت بها الأمّة الإسلاميّة. وكان احد أهم أسباب الانفراج هو ضعف الحكم الأمويّ وانهياره. والبداية الضعيفة لدولة بني العبّاس، لذلك كان الإمام "عليه السلام" بعيداً عن المواجهة السياسيّة العلنيّة[٩].

وقد أشاد الجاحظ بفضل الإمام "عليه السلام" ومكانته العلمية التي تأثرت الناس بتراثها الغني بالمعارف قائلا: " وفجر الإمام الصادق "عليه السلام" ينابيع العلم والحكمة في الأرض وفتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل وقد ملأ الدنيا بعلمه"[١٠].

في الوقت نفسه ان الإمام عمل جاهداً من خلال مؤسسته العلمية والفكرية والثقافية التي أسسها لتحقيق مسألة في غاية الأهمية ألا وهي تغير فكرة المجتمع من المواجهات السياسية والعسكرية إلى المواجهة السلمية أي اراد أبدال مفهوم لغة السيف والدم كوسيلة

لتحقيق الأهداف، ورفعه إلى اسمى من ذلك بترسيخ قواعد الحوار وسيادة العقل كلغة للتفاهم وتحقيق الوحدة المتكاملة للمجتمع على أساس المحبة والتعاون والتكاتف واصلاح النفس بصحوة ضمير الفرد والمجتمع ونبذ الخصومة والجدالات العقيمة بقوله:" إياكم والخصومة في الدين !.. فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عزّ وجلّ، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجيز الكذب[١١].

كذلك قال: "لا تخاصموا الناس!.. فإنّ الناس لو استطاعوا أن يحبونا لأحبونا، إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا يوم أخذ ميثاق النبيين، فلا يزيد فيهم أحدٌ أبدا، ولا ينقص منهم أحدٌ أبدا"[١٢].

يمكن القول ان الإمام الصادق عمل على توضيح مفهوم الاعتراف الضمني بالواقع السياسي الحاكم لا يعني الاعتراف الشرعي به واقرار محكوميته، اي انها ليست دعوة للخضوع والتخاذل للسلطة بقدر ما يسمح به كمواطن لتأدية واجباته وصيانته بقوله:" لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلا فاسألوا الله بقاه، وإن كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه، فان صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فاحبوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم"[١٣].

وكذلك قال:" إن الناس إنما هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا"[١٤]. يبدو من ذلك أن المصلحة العامة تقتضي الاجبار على الهدوء بسيادة القانون وكحد فاصل لإيقاف دوامة العنف السياسي التي عصفت بالمجتمع الإسلامي، فأثرت بشكل سلبي على كافة ميادين الحياة، ولهذا اعترف الإمام "عليه السلام" بمشروعية المقاومة وفق الاطار السلمي[١٥].

حيث عمل الإمام الصادق على تصحيح المفاهيم الخاطئة المتعلقة بمشروعية العمل مع السلطة اولا بقدر ما يتعلق الامر بالمهمة الملقاة على عاتقه وفقاً للضوابط المحدودة لتحقيق المنفعة العامة بإقامة العدل ودفع الأذى والظلم والاحسان إلى الرعية فكانت احدى وصاياه في الالتزام بهذه المسلمات الاساسية قائلا:"... كان حقاً على الله عز و جل أن يؤمن روعته يوم القيامة ويدخله الجنة".

ثانياً: التصدي للأفكار الفلسفية المضادة والمنحلة للفرق الضالة.

كانت افكار الفرق الضالة مغايرة للإسلام ولكيانه الديني والسياسي، فعمل الإمام

الصادق على ابراز الفكر الفلسفي الإسلامي فكشف زيفها وادعاءاتها الباطلة على سبيل المثال لا الحصر افكار ابي العوجاء والديصاني والغلاة الذين تستروا باسم اهل البيت مدعين بذلك صفات الربوبية وغيرهم من الوضاعين واهل الرأي والمتصوفة(١٦).

يمكن القول ان اغلب هذه التيارات شكلت خطراً كبيراً على الإسلام وبنائه الداخلي، فعمل الإمام الصادق على اعداد نخبه واعية قدر عددهم في المصادر التاريخية اكثر من اربعة الالف، على سبيل المثال لا الحصر هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، والفضل بن عمر، ومؤمن الطاق، وابان بن تغلب... وغيرهم حيث ان هؤلاء برعوا في علم الكلام والفلسفة والمناظرة والجدل واخذوا على عاتقهم الدفاع عن العقيدة والتوحيد وعقدوا الكثير من المناظرات مع الخوارج واصحاب الافكار المنسلخة عن الإسلام(١٧).

احتجاجاته ومناظراته:

وتصدى الإمام الصادق " عليه السلام " مع المتكلمين من تلاميذه إلى تفنيد الشبه والشكوك التي اثارها الحاقدون على الإسلام لتشكيك المسلمين في واقع دينهم العظيم الذي جعلهم سادة الامم والشعوب. وكانت تلك شبه تحمل طابع الحقد والكراهية للإسلام، والنكاية بالمسلمين، يقول بعض الكتاب المعاصرين: ان الدعوات الالحادية في عصر الإمام قد تبرقعت ببرقع العلم، وهي تبغي هدم الايمان بالله تعالى، وقد تصدى لها الإمام الصادق " عليه السلام " بالرد، فقد كان على يقين ان هذه الدعوات تهدد الامة الإسلامية، فأنها انما سادت الامم بالإيمان بالله، وهي إذا فقدت هذه الجهة فأنها تفقد وجودها وكيانها.

ومن الجدير بالذكر ان فرنسا لما فقدت هذا العنصر من حياتها خسرت نفسها وكيانها، يقول ديغول رئيس الجمهوري الفرنسية: (ان فرنسا قد فقدت مكانتها كدولة عظمى لانها فقدت الايمان بالله، وانها لكي تسترد مكانتها يجب ان تسترد ايمانها بالله) ونعرض لبعض ما اثر عنه من غرر الاحتجاجات الرائعة، التي افحم بها الزنادقة والملحدين، وتركهم يتميزون من الغيظ قد سد عليهم كل نافذة يسلكون منها للتمسك بشبههم واوهامهم، وبذلك فقد صان العقيدة الإسلامية من هجماتهم، كما نعرض لبعض مناظراته مع بعض الاعلام في عصره كأبي حنيفة الذي يتمسك بالقياس، ويراه احد الادلة الشرعية التي يستنبط منها الحكم الشرعي، وقد فند الإمام " عليه السلام " ذلك بأوثق الادلة، وفيما يلي ذلك:

ابطاله لشبه الزنادقة:

اما الزنادقة فهم المعنون بالكفر والالحاد، والتضليل، وقد سعوا بقوى محمومة لإفساد افكار المسلمين وتضليلهم، وقد انبرى الإمام الصادق " عليه السلام " مع السادة العلماء من تلاميذه لتفنيد شبههم التي لا سند لها من علم، خصوصا فيما يتعلق بالله تعالى فأن انكاره انكار للبديهات والضرورات، فقد تجلى الله في كل شيء، وهو من الأمور الفطرية التي يشعر بها كل إنسان في دخائل نفسه، واعماق ذاته، وهذا ما عبر عنه ديكارت بقوله: (انني مع شعوري بنقص في ذاتي احس في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة وارائي مضطرا إلى اعتقادي بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال، وهي الله تعالى)[١٨].

أما رسائل الإمام الصادق " عليه السلام " فهي من مناجم التراث الإسلامي وهي في نفس الوقت تحكي مدى اهتمامه في تركيز المفاهيم الخيرة في عوطف الناس وضمائرهم، ونلمح إلى بعضها:

رسالة النجاشي للإمام:

كان عبد الله النجاشي حاكما على الاهواز، وهو من افذاذ شيعة الإمام " عليه السلام " ومن خير الحكام والمسؤولين في تقواه وورعه وتحرجه في الدين، وقد طلب من الإمام الصادق " عليه السلام " ان يزوده برساله يتخذها منهجا، ودستورا يسير على ضوئه في ايام ولايته وحكمه، ليكون بمنجاة من الهلاك، والاثم، وهذا نص رسالته:

(اطال الله بقاء سيدي، وجعلني من كل سوء فداه، ولا اراني فيه مكروها، فأنه ولي ذلك والقادر عليه.

اعلم سيدي ومولاي اني بليت بولاية الاهواز، فأن رأى سيدي ومولاي ان يحد لي حدا، ويمثل لي مثالا استدل بهي على ما يقربني إلى الله عز وجل، والى رسوله، ويلخص لي في كتابه ما يرى لي العمل به، وفيما ابذله، واين اضع زكاتي، وفيما اصرفها، وبمن انس به، والى من استريح، وبمن اثق وامن والجأ اليه في سري، فعسى ان يخلصني الله تعالى بهدايتك وولايتك، فأنك حجة الله على خلقه، وامينه في بلاده، لازالت نعمته عليك..).

وحكت هذا الرسالة ما يتمتع به النجاشي من الكمال وسموا الآداب، وذلك بتعظيمه

لسليل النبوة وبقية الله في الارض الإمام الصادق " عليه السلام " كما حكت احتياطه في امر اخرته كأشد ما يكون الاحتياط، فقد اعتبر تقلده لولاية الاهواز بلاءً ومحنة عليه، والحق ان اي عمل في جهاز الدولة انما هو بلاء ومحنه على من يتقلده ان لم يقم بواجباته ومسؤوليته، ويؤديها على النحو الكامل، وقد طلب النجاشي من الإمام " عليه السلام " ان يتفضل عليه، ويوضح له النقاط التالي:

أ ـ تحديد المنهج والسياسة التي يسير عليها ايام ولايته.

ب ـ معرفة من يعطيهم حقوقه المالية كالزكاة وغيرها، وذلك بإيضاح الصفات التي ينبغي ان تتوفر فيهم.

ج ـ ارشاده إلى من يتخذه حاشية ومستشارين له.

جواب الإمام:

أما جواب الإمام "عليه السلام" فأنه من اهم الوثائق السياسية في الإسلام فقد اوضح المناهج الإسلامية في عالم السياسة والحكم، تلك المناهج المشرفة التي رفعت اعلام الحرية والمساواة والتقدم بين الناس، وقد ارشده الإمام "عليه السلام" إلى اهم الوسائل التي تشيع العدل والحق بين الناس، والتي تنجيه من عذاب الله...وذكر نص الجواب للرسالة في ص٢٢١من حياة الإمام الصادق ع للقرشي..

وحكت هذه الوثيقة خلاصة العدل السياسي في الإسلام الذي يحقق امال البشرية وطموحها، وينعم في ظلاله البؤساء والمحرمون، فقد حددت قبل كل شيء تصرفت الحكام والمسؤولين، فليس لهم ان يتصرفوا في أمور الرعية حسب رغباتهم واهوائهم، وانما عليهم مصلحة الامة فوق جميع الأعتبارات، كما طالبتهم بتحقيق العدل بجميع رحابه ومفاهيمه بين الناس..[١٩].

المبحث الثاني

نبذة مختصرة من حياة الإمام الصادق عليه السلام

هو من عملاق هذه الامة ورائد نهضتها الفكرية والعلمية الذي ملا الدنيا بعلمه على حد تعبير الجاحظ ـ ومن فيض علومه أنتهل ائمة المذاهب الإسلامية احكام الشريعة من

العبادات والمعاملات والعقود والايقاعات، ولاتزال ثروته الفقهية ندية تزخر بالعطاء، فإليها يرجع فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية، كما يقتبس منها علماء القانون فيما يؤسسون من احكام...ان القدرات العلمية الهائلة التي يملكها الإمام الصادق " عليه السلام " قد دللت على اصالة ما وفصل الخطاب والهمهم الكثير من العلوم كما منح رسله وانبياءه..

صفته:

كان يوصف بأنه ربعة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيض الوجه، أزهر له لمعان كأنه السراج، أسود الشعر، جعده، أشم الأنف قد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً، وعلى خده خال أسود.

نسبه:

هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد كني جعفر الصادق بعدة كنى منها أبو عبد الله (وهي أشهرها) وأبو إسماعيل وأبو موسى. ولقب بالصادق، والفاضل، والطاهر، والقائم، والكامل، والمنجي. أم أبيه هي :أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أمه هي: أم فروة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أم أمه هي: أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٢٠] نظرة الشيعة الإثنا عشرية لفقه وروايات جعفر الصادق عليه السلام .

تؤمن الطائفة الشيعية الإثنا عشرية بعصمة جعفر الصادق كعصمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله

من عند الله بنص آية التطهير، وأنه مسدد من قبل الله، وبالتالي فإن الإمام جعفرا الصادق غير خاضع للجرح والتعديل، وإن الإمام جعفرا الصادق يأخذ الحديث عن الرسول بإسناد متصل بآبائه وذلك لعصمتهم وصدقهم فيما يقولون، كما أن فقه الإمام جعفر وتعاليمه التي تثبت عنه ويتم ثبوت صحتها عنه، لا يجوز تجاوزها أو الاعتراض عليها لأنها من عند الله، « فالحديث عند الشيعة الإثنا عشرية هو قول المعصوم أو فعله أو تقريره، وبهذا الاعتبار ينقسم إلى الصحيح ومقابله، وبهذا عُلم أن مالا ينتهي إلى المعصوم ليس حديثاً، وأما العامة (يقصد أهل السنة والجماعة) فاكتفوا فيه بالانتهاء إلى أحد الصحابة والتابعين، ولأجل التميز بين القسمين ربما يسمّون ما ينتهي إلى الصحابة والتابعين بالأثر"[٢١].

والجدير بالذكر أن الإمام الصادق هو أكثر الأئمة رواية في كتب الحديث عن الإثنا عشرية، بل إن الطائفة الإثنا عشرية تلقب نفسها بلقب الجعفرية نسبة لجعفر الصادق.

نظرة أهل السنة والجماعة للإمام جعفر الصادق:

يرى أهل السنة والجماعة أن جعفر الصادق إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، وأنه ثقة مأمون ولا حاجة في نقل أقوال ائمة الحديث فيه فهي طافحة في الثناء عليه والمدح فيه، ولكنه كغيره من الأئمة يأخذ منه ويرد ولا معصوم عند أهل السنة والجماعة إلا الرسول صلى الله عليه وآله، ويرى أهل السنة والجماعة أنه من الطبيعي أن يسبق بعض من هم ليسوا من آل البيت من هم من آل بيت في العلم والفقه والحفظ.

المكانة العلمية للإمام جعفر الصادق

تميز عصر الإمام الصادق بأنه عصر النمو والتفاعل العلمي والحضاري بين الثقافة والتفكير الإسلامي من جهة، وبين ثقافات الشعوب ومعارف الأمم وعقائدها من جهة أخرى. ففي عصره نمت الترجمة، ونقلت كثير من العلوم والمعارف والفلسفات من لغات أجنبية إلى اللغة العربية، وبدأ المسلمون يستقبلون هذه العلوم والمعارف وينقحّونها أو يضيفون إليها، ويعمقون أصولها، ويوسعون دائرتها. فنشأت في المجتمع الإسلامي حركة علمية وفكرية نشطة.

وسط هذه الأجواء والتيارات والمذاهب والنشاط العلمي والثقافي، عاش الإمام الصادق ومارس مهماته ومسؤولياته العلمية والعقائدية كإمام وأستاذ، وعالم فذّ لا يدانيه

أحد من العلماء، ولا ينافسه أستاذ أو صاحب معرفة، فقد كان قمة شامخة ومجدا فريدا فجّر ينابيع المعرفة، وأفاض العلوم والمعارف على علماء عصره وأساتذة زمانه فكانت أساسا وقاعدة علمية وعقائدية متينة ثبت عليها البناء الإسلامي، واتسعت من حولها آفاقه ومداراته. وقد اشتهر الإمام الصادق بغزارة العلوم ولا سيما في الطب والكيمياء وخلف آثارا عجيبة من ذلك (طب الصادق) و(أماليه). هذا بالإضافة إلى علم الكلام والفقه والحديث وقد روى جابر بن حيان الكيمياوي العربي الشهير الشيء الكثير من الآراء الكيمياوية في مؤلفاته عن الإمام جعفر الصادق.

وفي (حليه الأولياء) لأبي نعيم بعد ما جاء بأسماء أعلام الإسلام روايتهم عنه قال، وأخرج عنه مسلم في صحيحه محتجا بحديثه، وكان مالك بن أنس إذا حدث عنه قال "حدثني الثقة بعينه" و"ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر الصادق، فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً."

مناظرات جعفر الصادق الدينية والعلمية:

لقد كان للإمام جعفر الصادق كثير من المناظرات مع العلماء وغيرهم في الدين والعلوم الإنسانية المختلفة، وقد اتبع الإمام الصادق منهجاً منطقيا تسلسليا في المناظرة والنقاش وهو أسلوب علمي يبرز مكانته العلمية وقدرته على استحضار كافة جوانب الموضوع وحضور البديهة في الرد، ويمكننا الإشارة إلى لمحة سريعة إلى عناوين بعض المناظرات التي حدثت مع الإمام جعفر بن محمد الصادق حيث أنه من الطبيعي ان يتعرض شخص بهذا المستوى الكبير من الفهم والعلم والمكانة لاسئلة المستفسرين وانكار الملحدين ومكابرة كثير من الفئات المتاثرة بالعلوم المستقدمة من هنا وهناك ومن تلك المناظرات:

مناظرة الإمام جعفر الصادق مع الملحدين

مناظرة الإمام جعفر الصادق مع أبي حنيفة في القياس

مناظرة الإمام جعفر الصادق مع رؤساء المعتزلة

مناظرة الإمام جعفر الصادق مع طبيب هندي

مناظرة الإمام جعفر الصادق مع عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث

بن عبد المطلب بن هاشم المعروف باسم عبد الله بن الفضل الهاشمي

مناظرة الإمام جعفر الصادق مع الزنادقة، الملاحدة، المشككين بقدرة الله

مناظرة الإمام جعفر الصادق مع ابن أبي العوجاء

مناظرة الإمام جعفر الصادق مع أبي حنيفة في حكم التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله.

مناظرة الإمام جعفر الصادق في الحكمة من الغيبة.

وغيرها الكثير من المناظرات المهمة والمفيدة جدا[٢٢].

أقوال رواة الحديث والعلماء عنه في كتب أهل السنة

وقال مصعب، عن الدراوردي قال: لم يرو مالك عن جعفر حتى ظهر أمر بني العباس.

قال مصعب ابن عبد الله: كان مالك لا يروى عن جعفر حتى يضمه إلى أحد .

وروى عباس عن يحيى قال: جعفر ثقة مأمون .

وقال أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله.[٢٣]

وقال صالح بن أحمد بن حنبل، عن علي بن المديني: سئل يحيى بن سعيد عن جعفر بن محمد فقال: في نفسي منه شيء، قلت: فمجالد؟ قال: مجالد أحب إلي منه .

وقال أحمد بن سلمة النسيابوري، عن إسحاق بن راهويه، قلت للشافعي: كيف جعفر بن محمد عندك ؟ فقال: ثقة في مناظرة جرت بينهما .

وقال أبو العباس بن عقدة: حدثنا جعفر بن محمد بن هشام قال: حدثنا محمد بن حفص بن راشد قال: حدثنا أبي، عن عمرو بن أبي المقدام، قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.

وقال أيضا: حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن قتيبة، قال: حدثنا محمد بن حماد بن زيد الحارثي، قال: حدثنا عمرو بن ثابت، قال: رأيت جعفر بن محمد واقفا عند الجمرة العظمى، وهو يقول: سلوني، سلوني.

وقال أيضا: حدثنا جعفر بن محمد بن حسين بن حازم، قال: حدثني إبراهيم بن محمد

الرماني، أبو نجيح قال: سمعت حسن بن زياد يقول: سمعت أبا حنيفة وسئل: من أفقه من رأيت ؟ فقال: ما رأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصورالحيرة، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من مسائلك الصعاب، قال: فهيأت له أربعين مسألة، ثم بعث إلي أبو جعفر فأتيته بالحيرة، فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخل لأبي جعفر، فسلمت، وأذن لي، فجلست، ثم التفت إلى جعفر، فقال: يا أبا عبد الله تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها: قد أتانا، ثم قال: يا أبا حنيفة؟ هات من مسائلك، نسأل أبا عبد الله، وابتدأت أسأله، وكان يقول في المسألة: انتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعا حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرم منها مسألة، ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟[٢٤].

من أقواله:

روي أنه لما سئل عن تحريم الربا وعلته قال (لأن لا يتمانع الناس المعروف)

(ان قدرت على أن لا تخرج من بيتك فافعل، فان عليك في خروجك ان لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنع ولا تداهن، ثم قال: نعم صومعة المسلم، بيته، يكفّ فيه بصره ولسانه ونفسه وفرجه)

قال لحمران: (يا حمران انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة فان ذلك أقنع لك بما قسم لك، واحرى ان تستوجب الزيادة من ربك، واعلم أن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند اللّه من العمل الكثير على غير يقين واعلم أنه لا ورع أولى من تجنب محارم اللّه والكف عن اذى المؤمنين واغتيابهم، ولا عيش أهنأ من حسن الخلق، ولا مال انفع من القنوع باليسير المجزي، ولا جهل اضر من العجب.)

وقيل له: على ماذا بنيت أمرك، فقال: (على أربعة أشياء علمت أن عملي لا يعمله غيري فاجتهدت، وعلمت أن اللّه عز وجل مطلع عليّ فاستحييت، وعلمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأننت، وعلمت أن آخر أمري الموت فاستعددت.)

من أنصف الناس من نفسه رُضي به حكما لغيره

(لا تسخطوا الله برضى أحد من خلقه، ولا تتقربوا إلى الناس بتباعد من الله)

(أحب أخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي)

(الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض).

(من أعطي ثلاثا لم يمنع ثلاثا، من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكّل أعطي الكفاية)

إيّاكم والكذب المفترع. قيل له: وما الكذب المفترع؟ قال: أن يحدّثك الرجل بالحديث فتتركه وترويه عن الذي حدّثك عنه.

وفاته:

توفي سنة ١٤٨هـ محبوسا في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[٢٥].

الخاتمة:

ما توصلنا من النتائج من خلال هذا البحث هي:

١- الإسلام عني بالسياسة ونظامها، بمعنى تدبير شؤون الامة ورعاية مصالحها..

٢- فإن اولى الناس في ان يعودوا إلى استئناف حياتهم على اساس من المبدأ الصالح، والعدل الشامل، والنظام الحق هم المسلمون وان اولى ما يطبقونه في سياستهم وادرتهم وحكمهم هو نظام الإسلام السياسي بجانب تطبيق الانظمة الإسلامية الاخرى ليسعدوا ويسعدوا به الناس.

٣- ان الإسلام ليس دينا بالمعنى المجرد الذي نفهمه اليوم من هذه الكلمة، بل هو مجتمع بالغ تمام الكمال يقوم على اساس ديني، ويشمل كل مظاهر الحياة الإنسانية.

٤- فجر الإمام الصادق "عليه السلام" ينابيع العلم والحكمة في الأرض وفتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل وقد ملأ الدنيا بعلمه.

٥- لقد كان للإمام جعفر الصادق كثير من المناظرات مع العلماء وغيرهم في الدين

والعلوم الإنسانية المختلفة، وقد اتبع الإمام الصادق منهجاً منطقيا تسلسليا في المناظرة والنقاش وهو أسلوب علمي يبرز مكانته العلمية وقدرته على استحضار كافة جوانب الموضوع وحضور البديهة في الرد.

٦- على الرغم من الظروف السياسية المضطربة التي عاصرها الإمام الصادق، والتدهور الاقتصادي الذي شهدته الدولة العربية الإسلامية خلال تلك الحقبة، الا ان الجوانب الفكرية والثقافية تميزت بمواصلة نشاطاتها، حيث انها لم تتأثر بتلك الظروف، ولذلك تبنى الإمام الصادق ركائز فلسفته الفكرية والسياسية وفق قيادته لمؤسسة علمية واسعة النطاق لم تقتصر على الجوانب العلمية والفقهية فقط بل كانت لها انعكاساتها السياسية.

٧- تؤمن الطائفة الشيعية الإثنا عشرية بعصمة جعفر الصادق كعصمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله من عند الله بنص آية التطهير.

٨- تميز عصر الإمام الصادق بأنه عصر النمو والتفاعل العلمي والحضاري بين الثقافة والتفكير الإسلامي من جهة، وبين ثقافات الشعوب ومعارف الأمم وعقائدها من جهة أخرى.

هوامش البحث ومصادره

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦)، ص ٤٢٩.

(٢) الفيروز ابادي، مجيد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، ج٢، ٢٢٠.

(٣) نفس المصدر، نقلا عن احمد الفراهيدي، كتاب العين، ج٧، (تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٤م، ص٣٣٦.

(٤) حسن سيد سلمان، المدخل للعلوم السياسة، (دار اغريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠١٠) ص ٥-١١.

(٥) نفس المصدر، ص ٩.

(٦) عبد العزيز عزت، النظام السياسي في الإسلام النظرية السياسية نظام الحكم، ط١، (دار السلام، القاهرة، ١٤٢٠هـ)، ص ١٢، " بالتصرف ".

(٧) نفس المصدر، ص ٢٢." بالتصرف "

(٨) القرشي، باقر شريف القرشي،، النظام السياسي، ص١٩-٩-" بالتصرف ".

(٩) نغم حسين الكناني، المواقف السياسية للامة الاثني عشر، (النجف، مطبعة الرافدين، ٢٠٠٩)، ص ٢٤٦، "بالتصرف".

(١٠) عبد الحليم الجندي. الإمام الصادق "عليه السلام"، (القاهرة، دار المعارف)، ص١٠٦.

(١١) الصدوق، الاماني، (بيروت، الاعلمي، ٢٠٠٩)، ص١٢٨.

(١٢) احمد ابن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، (ايران، دار الكتاب الإسلامي)،١٣٤.

(١٣) محمد ابن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، (مؤسسة ال البيت عليهم السلام، قم، ١٤١٤هـ)، ج١٦، ص٢٢٠.

(١٤) الكليني، اصول الكافي، (ايران، دار الكتاب، ط ١)ص ٢٤٦.

(١٥) نغم حسن الكناني، المواقف السياسة للامة الاثنى عشر، ص ٢٤٦.

(١٦) نفس المصدر، ص ٢٤٩.

(١٧) سيد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الاربعة، (بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ج١، ص٧٨.

(١٨) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الصادق "عليه السلام"،ط١، (بيروت، دار الاضواء، ١٤١٣هـ)، ج١-٢، ص١٥٧- ١٥٨.

(١٩) القرشي، من حياة الاما الصادق " عليه السلام " ص ٢٢٠-٢٢٦.

(٢٠) القرشي، نفحات من سيرة ائمة اهل "عليهم السلام"، ط٧، (النجف، مؤسسة لإمام الحسن عليه السلام، ١٤٣٣هـ)، ص٢٣٢- ٢٤٢.

(٢١) السبحاني، اصول الحديث، ص ١٩.

(٢٢) القرشي، من حياة الإمام الصادق، ص ١٢٠ - ١٣٧.

(٢٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص ٤١٤. بالتصرف.

(٢٤) المزي، تهذيب الكمال، ج٥، ص ٧٦.

(٢٥) القرشي، من حياة الإمام الصادق "عليه السلام"، ص٨٠ - ٩٨.